

الدكتور
أحمد محمد الفاضل

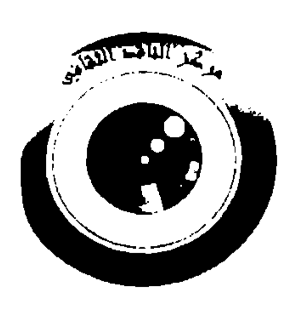
نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم

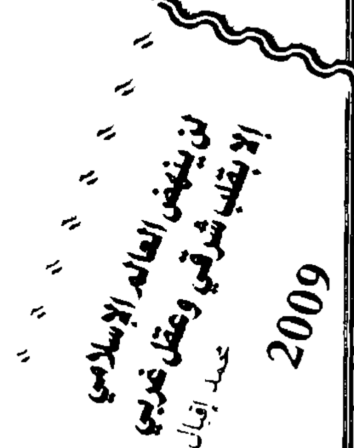
د. محمد راتب النابلسي
د. مصطفى محمود
د. عبد المجيد الزنداني

د. احمد محمد الفاضل

نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم

«نماذج وتطبيقات»





مركز الناقد الثقافي
مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق ساحة عرنوس بناء واحة عرنوس بجانب السفارة البلغارية الطور الرابع

مكتب رقم ١ - ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- نقلة نوعية من اللاإدراك إلى الإدراك بلوغاً إلى الأمل على أن يصبح أي تعاهد واستيثاق من غائب مغيب حاضر فاعل .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)

Correspondent bank :

SWIFT:COBADEFF	**COMMERZBANK / FRANKFUR**
Beneficiary bank :	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
SWIFT : BBSFSYDA	(MARKAZ AL NAKED/BBSF)
Name of the final beneficiary :	**(0125719/BBSF)**
Account number of the final beneficiary :	

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank :

SWIFT : BSFRSARI	**BANQUE SAUDI FRANSI**
Beneficiary bank :	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
SWIFT;BBSFSYDA	(MARKAZ AL NAKED/BSF):
Name of the final beneficiary	**(0125719/BSF)**

فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ

كلمة الناشر

القرآن كتاب هداية، وليس كتاب (تكنولوجيا)

بقلم علاء الدين آل رشي
المدير الإعلامي في مركز الناقد الثقافي

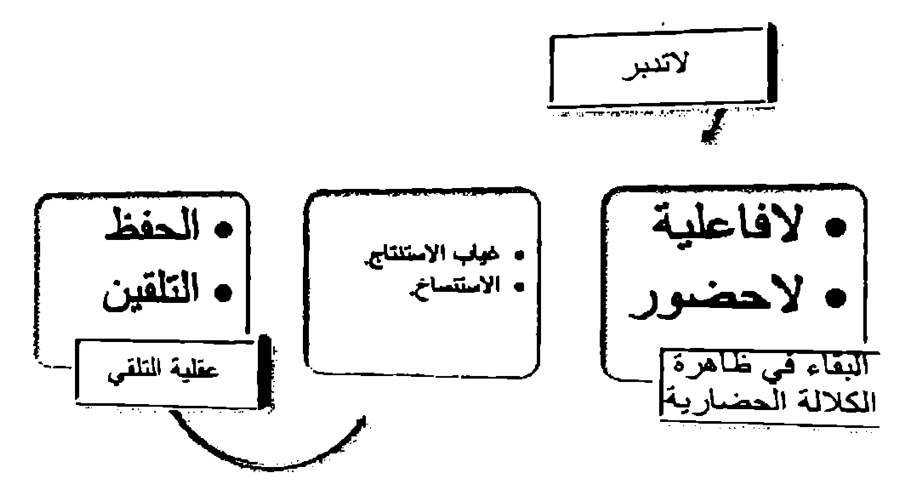
نحن المسلمين نعتقد أن القرآن: الإجابة الصحيحة لكل الاحتياجات الإنسانية الدائمة والمتجددة، ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل/٨٩] فالقرآن محرض ومحرك، ومنشط عقلي وثقافي وفكري وحياتي ووجداني وتشريعي وسنني وفني واجتماعي ورافع حضاري ودليل الفلاح في الآخرة والنجاح في الدنيا .

لكن المشكلة أن العقوق الذي أصاب الأمم السابقة في التعامل مع كتبهم أو علل التدين تسربت خصالها إلى العقل المسلم فصدق على المسلمين قوله الله عزوجل:﴿ ومِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ ﴾[البقرة/٧٨] أي: لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلا [١]

1- جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل ج1 دار الكتب العلمية ط 2 1424 ص 338 .

إن التلعثم في تجويد القرآن ليست هي المشكلة الوحيدة للمسلمين بل غياب التحديق الفاهم والتدبر الواعي أو الوسائل والطرق التي تصل القرآن بالناس هي أم المشاكل .

مشكلة المسلمين تكمن في:



إن الأمية العقلية هي السائدة في التعامل مع الكتاب المقدس،وأول الجهود الإصلاحية ينبغي أن تتجه إلى :

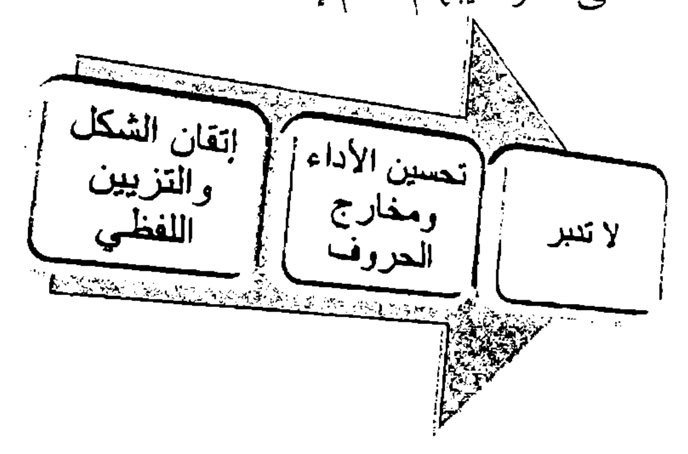
كسر الأقفال ورفع الران عن العقل والقلب كي تتجدد الصلة بالقرآن وننتقل من مجرد الحفظ والتلقين إلى التدبر والوعي .

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد/٢٤] ؛ لكن من مفارقات المسلمين أنهم تركوا هذا الواجب الذي ألزم الله عباده به وهو (التدبر) وسعوا نحو الحفظ الذي أوكله الله له﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر/٩] .

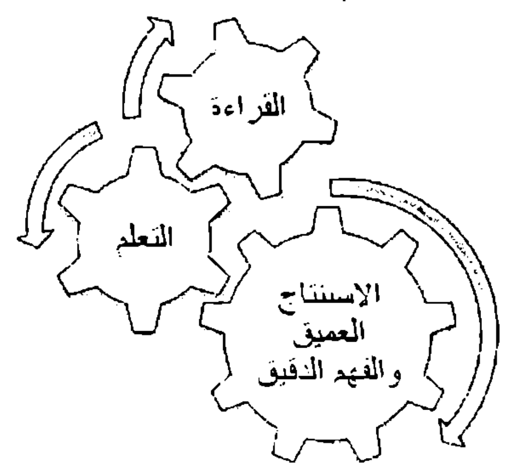
يقرر كثير من الباحثين أن الجهود ((يجب أن تنصب على منهج الفهم، وإعادة فحص واختبار المناهج القائمة التي أورثتنا ما نحن عليه، والتحرر من تقديس الأبنية الفكرية الاجتهادية السابقة التي انحدرت إلينا من موروثات الآباء والأجداد والمناخ الثقافي الذي يحيط بنا منذ الطفولة، ويتسرب إلى عقولنا فيشكلها بطريقة التفاعل الاجتماعي الأمر الذي أدى إلى انكماش الفكر والرؤية القرآنية في واقع حياتنا، وتحول القرآن من مركز الحضارة وصناعة الحياة، إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ التي تشكلت في عصور التخلف والتقليد والتي حالت دون إدراك أبعاد النص القرآني، والقدرة على تعديته للزمن والمكان، ذلك أن الصورة التي طبعت في أذهاننا في مراحل الطفولة للقرآن أنه: لا يستدعى للحضور إلا في حالات الاحتضار، والنزع، والوفاة، أو عند زيارة المقابر، أو نلجأ إلى قراءته عند أصحاب الأمراض المستعصية، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاه .

ولذلك، اقترنت الصورة الموروثة للقراءة بحالات من الخوف والاكتئاب، ينفر منها الإنسان، ويستعيذ بالله من سماعها.. فإذا تجاوزنا مؤسسات الأمية والعامية التي تشكلت من خلالها تلك الصور المفزعة للقرآن، إلى مراكز ودروس تعليم القرآن

الكريم، رأينا أن الطريقة التي يعلم بها يصعب معها استحضار واصطحاب التدبر والتذكر والنظر، إن لم يكن مستحيلا.. فالجهد كله ينصرف إلى ضوابط الشكل من أحكام التجويد ومخارج الحروف، وكأننا نعيش المنهج التربوي والتعليمي المعكوس ..فالإنسان في الدنيا كلها، يقرأ ليتعلم، أما نحن فنتعلم لنقرأ ! لأن الهم كله ينصرف إلى حسن الأداء.. وقد لا يجد الإنسان أثناء القراءة فرصة للانصراف إلى التدبر والتأمل، وغاية جهده إتقان الشكل .. وقد لا يعيب عليه الناس عدم إدراك المعنى قدر عيبهم عدم إتقان اللفظ



القراءة عند الأمم المتحضرة



ونحن هنا لا نهون من أهمية ضبط الشكل، وحسن الإخراج، وسلامة المشافهة، لكننا ندعو إلى إعادة النظر بالطريقة، حتى نصل إلى مرحلة التأمل والتفكر والتدبر التي تتوافق مع القراءة وقد يكون ذلك بأن نبدأ التلقين بالأداء الحسن ابتداء، مع التوجيه اللافت للنظر صوب المعنى، ولا نلتفت إلى ضبط الشكل إلا في حالات التصويب، ولتكن حالات الاستثناء.

قد يكون من أخطر الإصابات التي لحقت بالعقل المسلم فحالت بينه وبين التدبر، وكسر الأقفال، ووضع الأغلال والآصار، والتحقق بالفكر القرآني والرؤية القرآنية الشاملة، والاغتراف منها لعلاج الحاضر، والامتداد صوب المستقبل، واعتماده مصدرا للمعرفة، والبعث الحضاري —التوهم بأن الأبنية الفكرية السابقة التي استمدت من القرآن في العصور الأولى هي نهاية المطاف، وأن إدراك أبعاد النص مرهن بها، في كل زمان ومكان، ومارافق ذلك من النهي عن القول في القرآن بالرأي، وجعل الرأي دائما قرين الهوى، و سوء النية، وفساد القسط. وفي هذا مافيه من محاصرة للنص القرآني وقصر فهمه على عصر معين، وعقل محكوم برؤية ذلك العصر، وحجر على العقل، وتخويف من التفكر الأمر الذي يحول بين الإنسان والتدبر المطلوب إليه في نص القرآن .

التأمل والتفكر والفاعلية = التعلم و التطبيق + القراءة

هذا علاوة على أن الاقتصار على هذا المنهج في النقل والتلقي، يحاصر الخطاب القرآني نفسه، ويقضي على إمتداده وخلوده، وقدرته على العطاء المتجدد للزمن، وإلغاء لبعده المكاني:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[سبأ/٢٨] ولبعده الزماني :﴿ ولَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب/٤٠] وإلغاء التكليف القرآني من السير في الأرض والنظر في البواعث والعواقب واستمرار النظر في الأنفس والآفاق، والاكتشاف المستمر في السنن والقوانين، والتعامل معها في ضوء العطاء العلمي والكشوف البشرية في إطار علوم الكون والحياة:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[فصلت/٥٣] ولعل ترسب هذه القناعة العجيبة الغريبة، وهي من أقفال الأولى التي يجب كسرها لينطلق الفهم من قيوده وأغلاله وأصاره، فيتحقق العقل بالرؤية القرآنية في أبعاد الحياة المختلفة، وينضج معرفة وحضارة مستمدة من الوحي المعصوم؛ لأن هذه القناعة إذا استمرت سوف تلغي الحاضر والمستقبل معا، وتسقط عن القرآن صفة الخلود الزماني، والامتداد المكاني.

ومن المفارقات العجيبة حقا للعقل المسلم جرأته على إلغاء التكليف القرآني بالنظر والتدبر وإسقاطه باجتهاد بشري، وذلك لعدم إدراكه للنص النبوي – البيان القرآني – الذي يقرر: أنها قد تتأتى فهوم مستقبلية أكثر وعياً وإدراكاً للنص القرآني: ((بلغوا عني ولوا آية)) ، ((فرب مبلغ أوعى من سامع)) ، ((فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)) ...

٣

ونحن بهذا، لا ندعوالى القفز فوق الفهوم التاريخية للقرآن، وهذا الميراث الثقافي الذي يعد مفخرة من مفاخر الفكر والاعتراف من القرآن مباشرة، بمؤهلات وبدون مؤهلات؛ وإنما نريد أن نحرر العقل من قيوده حيث حرم عليه النظر،وندعو إلى النظر الذي لايتحقق ولايتأتى، ولا يستحق أن يسمى نظرا إذا تجاهل الفهوم السابقة، ولعل من أبسط مستلزماته: اصطحاب الاجتهادات السابقة، ولكن لانفتصر عليها، فلكل عصر رؤيته، في ضوء مشكلاته ومعطياته.

إن الدعوة إلى محاصرة العقل، والحجر عليه،وقصر الفهم والإدراك والتدبر على فهوم السابقين، هو الذي ساهم بقدر كبير في الانصراف عن تدبر القرآن، وأقام الحواجز النفسية المخيفة التي حالت دون النظر، وأبقى الأقفال على القلوب ،وصار القرآن تناغيم، وترانيم.

وبدل أن يكون الميراث الثقافي وسيلة تسهل الفهم ،وتغنى الرؤية، وتعين على التدبر، أصبح _من بعض الوجوه عائقا يحول دون هذا كله ...وشيئا فشيئا، تتحول القدسية من القرآن إلى السنة، فتجعل السنة حاكمة على القرآن، ومن ثم انتقلت القدسية لفهوم البشر، وبقى الكتاب والسنة للتبرك.

فالمشكلة المستعصية في اختلاط قداسة النص ببشرية التفسير والاجتهاد لذلك النص، وإدراك مرماه؛حيث عد رأي الشيخ أو المتبوع في تفسير نص ما أو فهمه، هو الأمر الوحيد، والممكن، والمحتمل، والأكمل لمدلول ذلك النص!وصار أى رأى أو احتمال أخر، خروجا عن الإجماع، أو نوع من الابتداع! وقد لا نستغرب في هذا المناخ أن ينتهي بعض الفقهاء والأصوليين إلى القول:((كل أية آو حديث تخالف ماعلينا أصحابنا، فهو مؤول أو منسوخ)) وهذا القول منسوب لأبي الحسن الكرخي من الأحناف.

وقد يكون هذا واقع العقل المسلم لكثير ممن سيطر عليهم مناخ التقليد الجماعي، وأن لم يصرحوا به، وأصبح كف العقل عن فهم وتدبر القرآن،مناخاً عاما يصعب الانفلات منه.

وجاءت ثمرة ذلك: مجاهدات عقلية، وجهود فكرية غير مجدية، استغرقتها مسائل الفروع التي كتبت فيها مئات المؤلفات من المتون، والحواشي، والشروح، والاختصارات، وضاعت بذلك مقاصد الدين. وحوصر امتداد القرآن والسنة عن شعب المعارف الأخرى،كما توقف الامتداد في بعدي الزمان والمكان، وانطفأت بذلك جذوة العقل المسلم، وتجمدت قيم الدين ومقاصده في مجال الشورى، والعدل الاجتماعي، لبعض الفرعيات، وقطعت الرؤية القرآنية الشاملة، وسادت النظرات الجزئية،وعم العجز،وتوقفت النظرة الموضوعية لتخلي مكانها لرؤى الموضعية.

لقد أورثنا مناخ التقليد الجماعي الذي عطل فينا ملكة الاجتهاد، والإبداع، والانجاز لقرون طويلة نوعا من العجز المزمن،جعلنا دون سوية التعامل مع القرآن، وإدراك سننه في الأنفس والأفاق، والاقتصار على بعض مئات من الآيات نظر فيها الأقدمون على أنها آيات الأحكام التشريعية..ولا نزال، إلى اليوم، نبدي فيها ونعيد من خلال ميراث الفقهاء وليس من خلال موقعها من الرؤى القرآنية حيث للآيات مقاصد عدة:تربوية، واجتماعية، ونفسية، وكونية، ومنبهات حضارية، ووسائل الكشف العلمي حيث لايخرج الحكم التشريعي على أن يكزن واحدا منها.

ويمكن أن نقول:بأن العجز لحق أيضاً بطريقة التعامل مع آيات الأحكام نفسها التي أخذت هذا الجهد، وتلك المساحة من الميراث الثقافي، وأصبحنا أتباعاً مقلدين، غير قادرين ليس فقط على تجاوز فهم السابقين والامتداد بالآيات إلى آفاق إضافية، وإنما عاجزين أيضا عن الإتيان بمثال أخر غير ما جاء به الأقدمون، وهذا من أشنع حالات التقليد.

وكما أن مناخ التقليد الجماعي جعلنا عاجزين عن الامتداد، ودون سوية التعامل مع القرآن، فكذلك أصبحنا_بذلك_ دون سوية التعامل مع الواقع المعاصر؛ لأننا أوقفنا عطاء القرآن للزمن، وهو المتغير السريع، وحولنا التفاهم معه بفهوم عصر

آخر يختلف في طبيعته، ومشكلاته، وعلاقاته، ومعارفه عن عصرنا وأعطينا صفة القدسية والقدرة على الامتداد والخلود لاجتهاد البشر،ونزعنا صفة الخلود والامتداد عن القرآن، عمليا، وإن كنا نرفضها نظريا،كما أسلفنا.

وكلون من التعويض عن العجز في الامتداد بالرؤية القرآنية، والتعامل مع العصر _الشهود الحضاري_ مانراه اليوم من التوسع فيما اصطلح على تسميته: (الإعجاز العلمي في القرآن)، على الرغم من التحفظات على هذه التسمية لدى كثير من علماء المسلمين الذين يرونا أن ميدان الإعجاز ليس المجال العلمي أصلا، فالعلم في تطور تقدم مستمر، وقد بلغ اليوم شأوا واسعا، وكلما تقدمت الأيام، تراكمت المعارف، وتقدمت الحقيقة العلمية أكثر..وخلود الرسالة يعني، فيما يعني، خلود المعجزة، وعدم قدرة الإنسان على الإتيان بمثلها في كل زمان ومكان. وأظن أن تطبيق هذا في مجال الإعجاز العلمي سيؤدي إلى كثير من المفارقات والتمحلات ..والقرآن كتاب هداية، وليس كتاب (تكنولوجيا)..ولا أحد يستطيع أن ينكر إن القرآن عرض لبعض الحقائق العلمية، ولفت نظر الإنسان إليها ليحقق هدفه في الهداية، وينبه الإنسان إلى وسائل التعمير وبناء الحضارة ويفتح طريق البحث العلمي أمام المسلمين، وأن كثير مما ذكر من الحقائق لم تكون معروفة في عصر نزول القرآن، وأن العلم أثبتها بعد آماد طويلة.

وقد تؤكد المعارف العلمية كل يوم، ما يكسبنا الاطمئنان إلى صحة النص القرآني ولا شك أن الحقائق العلمية التي عرض لها القرآن في عصر الأمية العلمية، تعتبر من دلائل النبوة، وبرهان صدقها إما تسميتها (إعجازا)، فالأمر ليس بهذه السهولة والبساطة، على الرغم من أن القرآن وضع العقل البشري في المناخ العلمي، ووفر له الإسلام الشروط والظروف المطلوبة..فموضوع القرآن: صياغة الإنسان؛ ووظيفةالإنسان: القيام بأعباء الاستخلاف، والأعمار عن طريق اكتشاف سنن التسخير، وحسن التعامل معها لذلك طلب القرآن: النظر، والتدبر، والملاحظة، والاختبار، وإدراك علل الأشياء، وأسبابها، وامتد في ذلك إلى استشراف المستقبل: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص/٨٨].

والمسلمون اليوم مطمئنون إلى صدق النبوة،وصحة النص، وإن احتجنا اليوم لهذا اللون من الطرح؛ فقد يكون مفيداً مع غير المسلمين.

وأخشى ما أخشاه، أن يستغني المسلمون اليوم عن محاولة الإبداع والانجاز العلمي في مختلف الميادين في ضوء هداية القرآن، والاستنفار لذلك، بالكلام عن الإعجاز العلمي كلون من التعويض. إذ نرى بعض مسلمي اليوم كلما اكتشفت نظرية، أوحقيقة علمية على يد غير المسلمين، يجهدون أنفسهم ــعن حسن نيةــ في التدليل على أن القرآن عرض لها، وإثباتها قبل العلم! وأعتقد أن هذا دليل للواقع المختلف والعاجز، فإذا كان القرآن قد عرض لها ،فما بال المسلمين لم يفقهوها؟

لذلك، نخشى أن يتقلب موضوع الإعجاز العلمي المعاصر من منبه حضاري مؤرق، إلى صورة من التفاخر والتظاهر المعوق وتكريس التخلف والأمية العقلية.[1]

اليوم، في عدد غير قليل من الآثار العلمية يتم التأكيد على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وعلى الرغم من البريق الأخاذ الذي بسلب أنظار العامة؛ إلا أن أهل الاختصاص يتوقفون عند جهود بعض من يسلك هذا السبيل، ذلك لأنه غالباً ما يكون ((قولا جزافا غير مستند على أساس علمي أو تاريخي فالأمر الذي يكون موضع التأويل لا يعدو في الغالب أن يكون إشارة لطيفة في القرآن الكريم لظاهرة كونية طبيعية هذا إذا صح تخريج المؤول لمعناها ، وليس من الصواب في شيء الزج بتلك الإشارة الكريمة إلى تحميلها فوق كل ماتحتمله ووضعها موضع التسابق مع أي مبحث علمي مفصل هذا فضلا عن أن المؤول يستحضر بعض فصول التاريخ العلمي الحديثة منذ ما سمي عصر النهضة وما بعده ، غير ملتفت إلى أن المعارف البشرية كانت في عهد القرآن متضمنة ما اهتدت إليه الأمم الأولى في الحضارات السابقة والكلام في السبق يفتح بابا للجدل ليس من اليسير في كثير من الأحيان الانتهاء فيه برأي))[2].

1- المرحوم محمد الغزالي – عمر عبيد حسنة ، كيف نتعامل مع القرآن ، دار الوفاء القاهرة ط 3 2001 ص 6

2- د. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم دار الشروق القاهرة ط3 2000م ص 398

((إن القرآن كتاب مترل من خالق الكون العليم بأسراره ونواميسه بل إن سبحانه وتعالى هو مبدع هذه الأسرار وفاطر تلك النواميس فمن العبث أن نعقد سباقا لا محل ولا معنى له بين كتاب الله العزيز - تترهت كلماته — وبين علوم البشر فهي -حتى وإن بلغت في هذا الزمن شأوا عظيما — ليست إلا لمحات من علم الله الشامل الكامل.

إن الأقوال الواهية عن (السبق العلمي)للقرآن الكريم لن تقنع غير المؤمن بأن القرآن الكريم كتاب مترل من عند الله وليس من قول محمد النبي الأمي ص، فإننا إذا أردنا أن نقنع غير المؤمنين بهذا وجب علينا أن نلجأ إلى أسلوب أكثر إحكاماً.))[1] .

((وكتاب الله معجز ويستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل الإعجاز في شتى المجالات. فإذا كنا بصدد إعجازه العلمي تحتم علينا أن نتوخى الدقة التامة، فلا نفتعل مناسبة أن نتشبث بلفظ أو نحمله فوق كل ما يحتمل، أو نجهل أو نتجاهل حقائق التاريخ.))[2] .

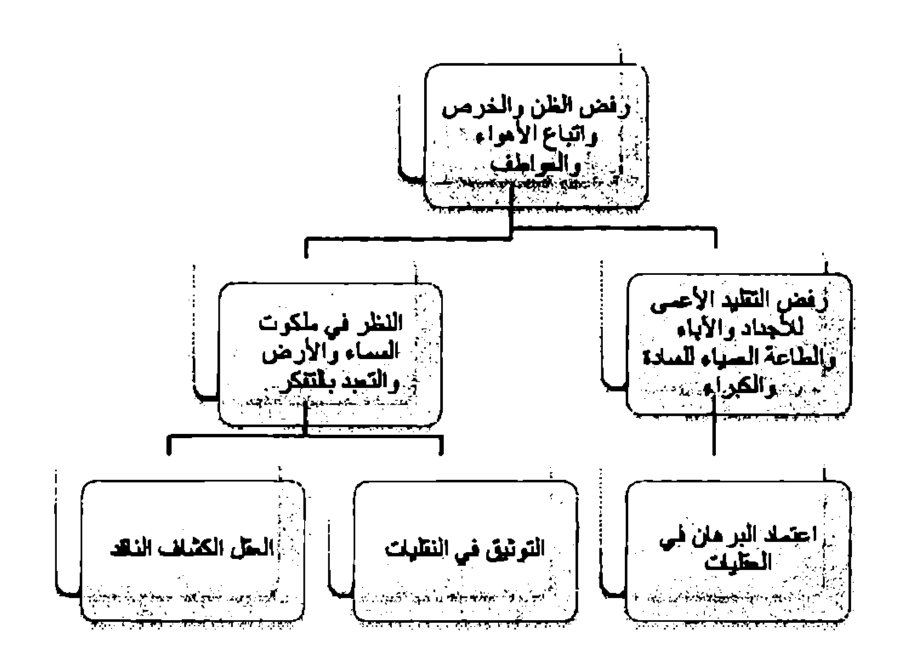
1- د. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم دار الشروق القاهرة ط3 2000م ص399

2- د. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم دار الشروق القاهرة ط3 2000م ص 400

وفي الختام :

هناك إشارات من الإعجاز العلمي لم تأخذ حقها من اهتمام الباحثين في الدراسات القرآنية وهي مكونات العقل العلمي (انظر الشكل)

من مكونات العقل القرآني



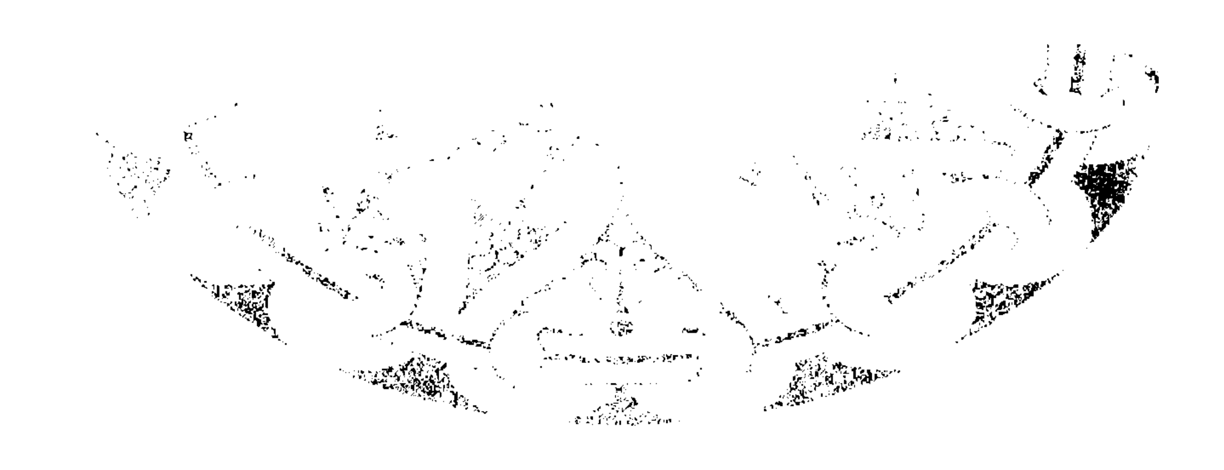
ليس من مقاصد الباحث الفاضل الإجهاز على علم الإعجاز وإنما الترشيد وعدم الاكتفاء بالنوايا فطريق جهنم تعبده النوايا الطيبة كما يقال .

إن هذا الجهد محاولة لوقف العبث باسم الإعجاز وكل ما ورد في هذه الرسالة من نقد وتصويب وتطبيقات هو نقاش علمي يفرق بين مكانة الأشخاص وقدسية الفكرة وللحق فإن هذه الرسالة الصغيرة الحجم تعد تدريبا عمليا وتطبيقا

متحضرا لمفهوم الحوار وتعويدا للعقل المسلم على الانفتاح والتحاور والقبول وحفظ المسافة بين صوابية الفكرة وبين مكانة القائل.

إن الدكتور الفاضل يكتب بخبرة المتخصص وقلب الغيور ويناقش بحرية ويطبع كل ذلك بأدب ولاغرو فهو ابن القرآن المقنع المبتسم المفعم بالمودة والحنو الذكي النقي الممشوق بالخير بهي الطلعة .

سلام لك يافاضل على إحيائك أدب الحوار وفضيلة التواصل الإيجابي مع من تختلف معهم، وعلو اهتمامك، وكل الاحترام لمن نقدهم وصوب رؤيتهم وفوق كل ذي علم عليم .



المقدمة

د. محمد أحمد الفاضل

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله أن منّ علينا بالقرآن، فجعل فيه شرفنا وعزنا ما تمسكنا بهديه، وسرنا على نهجه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ .

ونصبه الله تعالى دليلاً لائحاً على صدق مَنْ أُنزل عليه فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

وتعهد سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته عن التبديل والتحريف فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وصلاةً وسلاماً دائماً سرمداً على مَنْ أُوتي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصاراً، فكان أفصح الناطقين الضاد قاطبة، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأنصار والمهاجرين، وسائر الصحابة أجمعين ومَنْ أحبَّهم، ونهج سبيلهم إلى يوم الدين .

وبعد:

فهذه مقالات في نقد التفسير العلمي والعددي للقرآن الكريم، كنت قد نشرتها على موقع (رسالتي)[1] وقد لاقت قبولاً واستحساناً وقت نشرها، واقترح عليَّ بعض الأصدقاء أن تُجمع في كتاب لتكون أقرب إلى أيدي القارئين، وخاصة الذين يُعنون بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فصادف هذا الاقتراح هوى في الفؤاد، فأجبته لذلك، لكني أعدتُ صياغتها وكتابتها؛ لأن ما يُنشر في كتاب يفترق عمّا ينشر على شبكة المعلومات العالمية .

هذا، ولا بد من القول هنا بأنّ هذه الانتقادات لا تعني تجهيلاً لمن انتقدت تفسيراتهم التي انتهوا إليها – وأقصد المعروفين بالعلم والبارزين في الدعوة إلى الله تعالى – إنَّما هي بيان للحق والصواب، وهو ما نسعى إليه جميعاً، وقد قال

1 – بإشراف الأستاذ محمد خير الطرشان، وعنوان الموقع : www.risalaty.net.

الإمام أحمد بن فارس القزويني: «وليس كل مَنْ خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه إلى الجهل، وذلك أنَّ الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن، فخالف بعضهم بعضاً..»[1].

ولحظتُ أنَّ الأخطاء التي اعترت هذه التفسيرات العلمية للقرآن تنحصر في أربعة أمور غالباً:

الأول : عدم مراعاة قواعد النحو وكثيراً ما يكون هذا في عود الضمير .

الثاني: المجافاة بين هذه التفسيرات وبين اللغة ودلالاتها.

الثالث: إهمال السياق العام للآيات القرآنية، وتفسيرها بمعزل عنه.

الرابع: التأويل المتعسف للمعجزة الخارقة للعادة، لتكون – بزعمهم – مقبولة في العقل!.

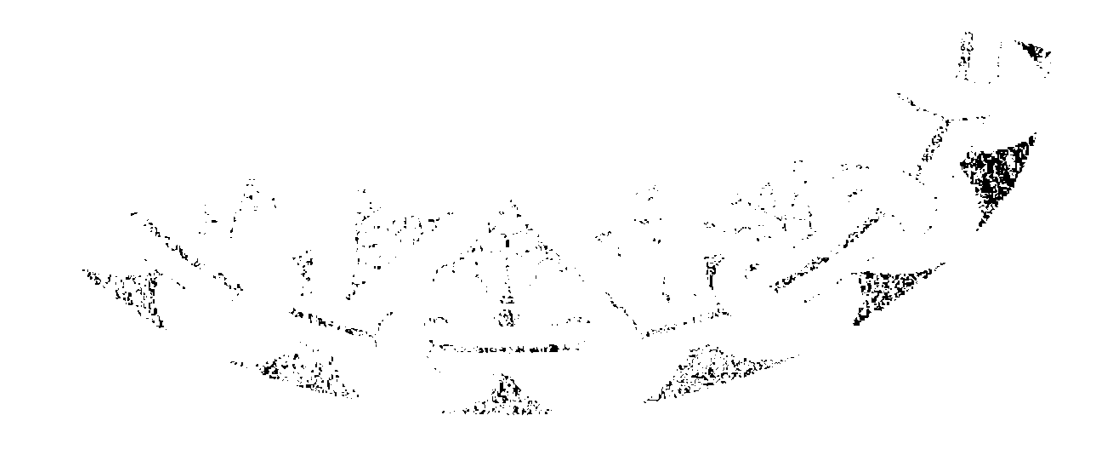
والله أسأل أن ينفع بهذه المقالات لتكون منهاجاً صحيحاً في التفسير العلمي للقرآن العظيم.

والحمد لله رب العالمين .

د. أحمد محمّد الفاضل
دمشق 24/11/1429
21/11/2008

للمراسلة موقع (رسالتي) INFO@risalaty.net

1- الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس (46) تحقيق السيد أحمد صقر – طبعة القاهرة.



التطبيق الأول

مع الأستاذ د. محمد راتب النابلسي

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن / 37]

يرى فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ــ وهو ممن يروج التفسير العلمي للقرآن الكريم ــ أن هذه الآية تدل دلالة ظاهرة إلى الكوكب الذي اكتشف من مدة ليست ببعيدة ، والذي يشبه الوردة الحمراء ويحكيها، وأن هذه التفسير للآية لا محيد عنه؛ لأنها لا تدل إلا عليه، ولا يُراد منها سواه ! !

يقول الدكتور النابلسي في هذا: ((عرضت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصد عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورة لا يشك الناظر إليها لحظة أنها وردة جورية

ذات أوراق حمراء قانية، محاطة بوريقات خضراء زاهية ... أما حقيقة هذه الصورة فهي صورة لانفجار نجم عملاق اسمه عين القط .... بل إنَّ صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآية ... فلا أحد يخطر في باله أن نجما ينفجر في السماء على شكل وردة تماماً ...))[1]

وفي أثناء كلامه عن هذا الإعجاز العلمي قرر أن أكثر التفاسير هي التي فسرت هذه الآية ليس فيها ما يشفي الغليل؛ لأنَّ في القرآن آيات لمَّا تُفسر [2].

ولا ريب أن هذا الذي صار إليه الدكتور النابلسي في تفسير هذه الآية وبيان إعجازها، ليس من التفسير في شيء؛ لأنَّ الآية بمعزل عن هذا الاكتشاف العلمي وعن هذا المعنى سواء أصحَّ هذا الاكتشاف أم لم يصح.[3]

وهاك الأدلة على هذا :

الأول: أنَّ الضمير في قوله (كانت) لا يعود على جزء هو الكوكب المزعوم، بل يرجع إلى كل، وهو السماء؛ وذلك لأن الآية تتحدث عن انشقاق السماء وتخبر بأنها كانت وردة ــ أي السماء ــ فاسم كان المستتر جوازاً مقدر بـــ (هي) العائد على السماء المنشقة .

1- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (الآفاق) للدكتور النابلسي (71 – 73) وأعاد الكلام نفسه في ندوة معه في قناة الشارقة الفضائية .

2- انظر المصدر السابق (72)

3- لم يوثق الدكتور النابلسي كلامه الذي قاله ونقله بذكر وكالة الفضاء أو موقعها الالكتروني.

ويقال أيضاً: كيف يعود الضمير على شيء غير مذكور من قبل ؟ لأن شرط الضمير العائد إلى متقدم أن يكون ما عاد إليه مذكوراً إلا إذا كان معروفاً ومشهوراً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾[فاطر / 45] فقوله: ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ أي: على ظهر الأرض، فأضمر لأنه لا يلتبس ولا يخفى، وأما في الآية التي بين أيدينا فلم يجر لهذا الكوكب ذكر من قبل، فكيف صح عود الضمير إلى شيء غير موجود ؟ !

الثاني: أن الوردة المذكورة في الآية لا يراد منها الذات التي تشم وينتشر عبقها في الأرجاء والتي لها جِرم وحيز كما توهم الأستاذ النابلسي، بل المراد منها هنا الوصف؛ لأن (الوردة) تطلق ويقصد بها الذات كقولك: فاح شذى الوردة ... وتطلق أيضاً ويعنى بها الوصف؛ أي اللون، كما قالوا: أسد ورد؛ أي أحمر، وفرس وردة؛ أي حمراء .[1]

فالآية أرادت الوصف أي اللون ولم ترد الذات قط؛ لأن تقدير الذات هنا يفسد المعنى الذي سيقت من أجله الآية.

والمعنى الصحيح للآية: فكانت السماء حمراء اللون أمارة للقيامة، فهي كالدهن الذائب، أو كاللون الأحمر المعروف، أو كالأديم الأحمر[2].

1 ـ انظر : مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني (ورد) وأساس البلاغة، للزمخشري (ورد) أيضا.
2ـ انظر تفسير ابن كثير (4/ 345)

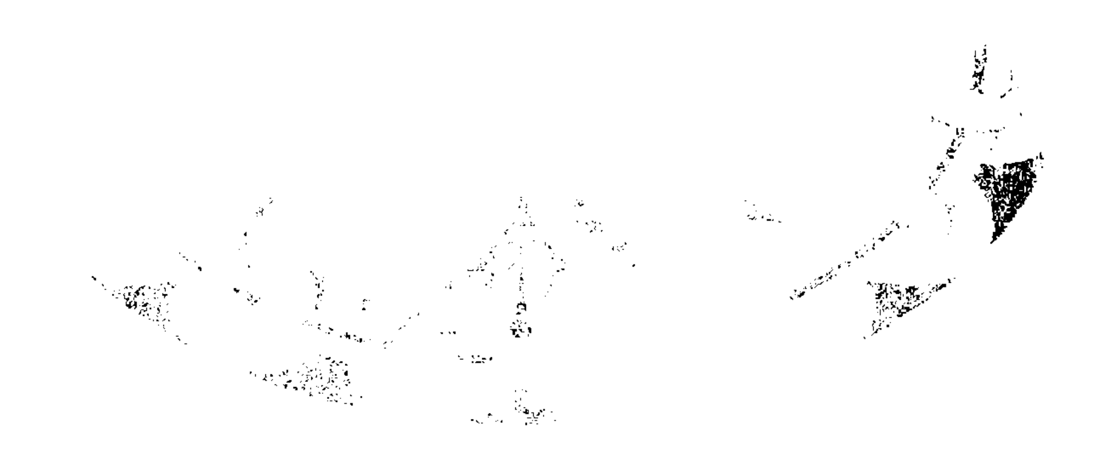
وهذا الانشقاق إنما يكون يوم القيامة عندما ينفرط عقد الكواكب والنجوم ويختل نظامها ويُصْدُم بعضُها بعضاً مما يلبس السماء ثوباً أحمر قانياً كلون الوردة الحمراء ... والآيات في هذا المعنى كثيرة، من ذلك قوله تعالى ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار/ 1- 2] وقوله تعالى :﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق /2-1]

الثالث: هذا التفسير الذي قال به الدكتور النابلسي، يصادم سياق الآيات وسباقها ولحاقها، ولا بد لمن عكف على تفسير كتاب الله عز وجل من مراعاة هذا الجانب الخطير من أصول التفسير، فكم من معنى يتجلى من خلال السياق، فمثلا :كلمة (أمة) تطلق غالباً على (الجماعة) (الطائفة) ... لكنها في قوله تعالى: ﴿ وقَالَ الَذي نَجا منْهُمَا وادَّكرَ بَعْدَ أُمَّة أَنا أُنَبِّئُكم بتَأْويله فَأَرْسلُون﴾[يوسف/45] بمعنى (المدة) أو (الزمن) ولا يصح معنى الجماعة فيها البتة؛ لأن السياق يبين المعنى المراد وهو المدة كما قدمت .

والآية التي نحن بصددها ﴿ فَإِذَا انشَقَّت السَّمَاءُ فَكَانَتْ ورْدَةً كَالدِّهَان﴾[الرحمن/37] سياقها يتحدث عن يوم القيامة وأحداثه المفزعة، وأن السماء تنشق أو تنفطر فتكون حمراء... وفي ذلك الوقت ﴿ فَيَوْمَئذ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبه إنسٌ ولا جَانٌّ ﴾[الرحمن/39] فما تتحدث عنه هذه الآيات من الانشقاق والاحمرار وعدم السؤال عن الذنوب؛ لأنها مسطورة معلومة وغير ذلك، يكون يوم القيامة، وليس هناك من ذكر لهذا الكوكب الوهمي من قريب ولا بعيد ...

فالخلاصة: أن هذا التفسير منقوض من قواعده وذلك من ثلاث جهات:

1ـــ عود الضمائر 2 ـــ واللغة 3ـــ والسياق .



﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت /41]

التطبيق الثاني

مع : د. مصطفى محمود

د. محمد راتب النابلسي

د. شوقي أبو خليل

يدعي الذين يفسرون القرآن الكريم تفسيراً علمياً بلا ضوابط ولا قيود علمية أن في هذه الآية إعجازاً علمياً أبرزه العلم في الوقت الحاضر، وكان غائبا من قبل .

وهذا الإعجاز العلمي يتمثل في أن الوهن الذي وصف به بيت العنكبوت، ليس الوهن الظاهري للبيت كما هو معلوم بداهة، ولكنه وهن داخلي خفي، ذلك لأن البيت الخارجي للعنكبوت ـــ بزعمهم ـــ من الإحكام والقوة بمكان !!!

فخيط بيت العنكبوت أقوى وأمتن من مثيله من الحديد مثلاً بضعفين أو أكثر، فعلى هذا يكون المراد من الوهن في الآية التفكك الأسري في العائلة العنكبوتية ، فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح، والصغارُ يأكل بعضهُم بعضاً وهكذا، فهو بيت تنقطع فيه أواصر المحبة والإخاء، فهو أشبه ما يكون بأُسرة إنسانية تنافر أفرادها وتخاصموا .. !!

والدليل على هذا الذي ذهبوا إليه، أن الآية تقول في نهايتها: ﴿ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فليس هناك أحد يجهل أن بيت العنكبوت واهٍ جداً، فلا بد من القول إذن: إن الذي جهلوه هو هذا التفكك الداخلي بين أفراد الأسرة. وهذه الحقيقةُ العلمية كانت مجهولة من قبل، و لم تُعرف إلا في عصر العلم الذي نعيشه ..

وممن قال بهذا الرأي الطبيب مصطفى محمود والدكتور محمد راتب النابلسي[1]، وتلقف كلام مصطفى محمود كلٌّ من جاء بعده ممن خاض في التفسير العلمي للقرآن الكريم .

وقد اشتهر هذا المعنى العلمي للآية في الأوساط الدينية، حتى إنك لو ذكرت غيره من المعاني التي تحتملها الآية، لنسبت إلى الجهل وضآلة الاطلاع ...!!

1- لكن الدكتور النابلسي نقل ذلك عن أستاذ في علم الحشرات في كلية العلوم بجامعة القاهرة دون أن يذكر المصادر لهذا النقل ، وعلق عليه فقال : وقد يجمع الضعفان في ضعف واحد، انظر موسوعة الإعجاز العلمي (الآفاق)، للدكتور النابلسي (416-415) وممن قال بهذا التفسير نقلاً عن مصطفى محمود الأستاذ شوقي أبو خليل في مجلة نهج الإسلام العدد (47).

يقول مصطفى محمود في بيان هذه الحقيقة العلمية، وهذا الإعجاز القرآني: ((.. والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت، ولم يقل القرآن الكريم خيط العنكبوت أو نسيج ... وإنما قال بيت ... والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ... فلماذا يقول القرآن:﴿ وإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت/41] ولماذا يختم بكلمة: ﴿ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟

والواقع أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه ... فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة، فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه، وهي الحاكمة عليه، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً، ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده ... وتغزل الأنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة؛ أي: إنه ليس بيتاً بل مذبحة.... وإنه أوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ))[1].

وهذا الذي انتهى إليه طبيبنا مصطفى محمود أبعد ما يكون عن مقصد الآية ومراد الله تعالى منها؛ لأن الخطأ يعتوره من ثلاثة جوانب :

1- القرآن محاولة لفهم عصري ، للطبيب مصطفى محمود (251 – 252)

الأول: المبالغة والتشبيه؛ لأن الادعاء بأن المقصود من الوهن في الآية الوهن الداخلي يطيح بتشبيهٍ رائع تريده الآية .

والتشبيهُ تمثيلي، فيه تشبيه صورة المشرك الذي يلجأ إلى معبوده (الصنم) بقصد جلب النفع له، أو دفع الضرر عنه، ثم لا يجد أي نفع ولا يدفع عنه أي ضر، بصورة العنكبوت التي تتعرض للخطر الداهم، فتقفز إلى بيتها أيضاً بقصد دفع الأذى والضرر عن نفسها، لكن بيتها هذا لا يجدي شيئاً .

هذه الصورة البلاغية الرائعة التي يريدها القرآن الكريم تضيع إذا حملنا الوهن على أنه داخلي ينتشر بين أفراد الأسرة العنكبوتية.

الثاني: اللغة؛ لأن الزعم بأن العنكبوت هنا هي الأنثى خطأ ظاهر تأباه اللغة العربية، لأن العنكبوت لا تنعت بأيٍ من الوصفين: الذكورة والأنوثة كالنملة والنحل والدود، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم الطبيب مصطفى محمود .

والنحلة أو العنكبوت قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثى [1].

الثالث : المعنَى والأسلوب ؛ لأن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ على أن الذي كانوا لا يعلمونه من قبل، هو

---

1 ــ انظر القرآن وقضايا الإنسان ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (359 – 360)

هذا الذي عرفه العلم الطبيعي اليوم من التفكك الأسري، هو من البعد بمكان؛ لأنه تعالى جهّل المشركين لـــمّا لم يعملوا بما علموا؛ لأنهم قد علموا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، لكن الاستكبار وتقليد الآباء والأجداد، حملهم على مخالفة ما علموه .

وهذا أسلوب قرآني شائع معروف، فقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة /18] وغير ذلك من الآيات، وهم على الحقيقة ليسوا صماً ولا بكماً ولا عمياً، لكن لمّا لم يستفيدوا من حواسهم هذه، جعلها بمترلة المعدومة والمعطلة، وكذلك الشأن في هذه الآية التي بين أيدينا .



التطبيق الثالث

د.مصطفى محمود

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج /73].

يدعي أصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم أن الذبابة إذا خطفت من الإنسان شيئاً - ولو حقيراً - فإنه لا يستطيع أن يسترد هذا المخطوف منها مهما أُوتي من علم وقدرة؛ لأن ما خطفته هذه الذبابة يتحول سريعاً إلى سكريات ذائبة، وذلك لخاصية معينة في لعاب الذبابة، فالطالب ــ ويريدون منه الإنسان ــ ضعيف لذلك، والمطلوب ــ الذبابة ــ ضعيف أيضاً فالتقى ضعفه وضعفها !!

والذي حملهم على هذا التفسير المصادم للقواعد والضوابط في أصول التفسير، تصورهم أن عالم الكيمياء مثلاً يمكن أن يحبس الذبابة السالبة، وأن يسترد منها ما كانت سلبته من ذرة سكر ونحوها، وبذلك تتخلف الآية حين تقول:﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾[الحج/73] فلا يتحقق ما وراء النفي المذكور !!

وممن روّج هذا المعنى للآية الطبيب مصطفى محمود، وحمله عنه كثيرون[1]، منهم أساتذة جامعيون وأخذوا ينشرونه بين طلابهم المساكين الذين جحظت عيون عقولهم لهذا المعنى المبتكر الذي تفتقت عنه أفكار هؤلاء الكبار !!

ولو سألت طالباً من هؤلاء عن تفسير هذه الآية، لما عرف إلا التفسير الذي سمعه من هؤلاء الفضلاء ولأنكر أي معنى يخالفه ...!!

فحال هذا الطالب كحال الشاعر المحب الذي يقول :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا

يقول الطبيب مصطفى محمود موضحاً إعجازه العلمي المزعوم: ((وهو مثل مازال معجزاً للعلم والعلماء بعد ألف سنة من تطور العلم والتكنولوجيا .. فمن يستطيع أن يخلق ذبابة على هواها وتفاهتها ؟ ... بل إنها لو سلبتك الذبابة ذرة من النشاء

1- وأما كلام الدكتور النابلسي في هذه الآية وتفسيرها، والاستدلال بها فعجيب ومضطرب، انظر موسوعة الإعجاز العلمي (409-411).

من طعامك فإن عباقرة الكيمياء لو اجتمعوا لا يستطيعون استرداد هذه الذرة من أمعائها؛ لأنها تتحول فوراً إلى سكر بفعل الخمائر الهاضمة .

فما أضعف الطالب والمطلوب! ما أضعف عبقري الكيمياء وما أهون الذبابة وما أتفه ذرة من النشاء في عالم هائل بلا حدود))[1].

وهذا التفسير العلمي الذي صَدَعَ به الطبيب مصطفى محمود تعاديه اللغة والنحو وتصادمه أصول التفسير وقواعده، وذلك بأمرين :

الأول : يتعلق بالسياق ــ ولا غنى للناظر في كتاب الله تعالى عن مراعاة ذلك ــ لأن الآيات في سياق الحديث عن المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله عز وجل فالآيات السابقة تقول : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ [الحج/71- 72] فهي تخبر على سبيل التعجيب والاستنكار عن عبادة المشركين للأصنام وإعراضهم عن عبادة الله تعالى غير مستندين في عبادتهم هذه إلى حجة أو علم ... فليس في أيديهم دليل عقلي يؤيدهم ولا دليل نقلي يعضدهم .

1 ــ القرآن محاولة لفهم عصري (240 241) وممن قال بهذا التفسير الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه التوحيد (172)

وفي الآية التي نحن بصددها يضرب الله تعالى الأمثال للناس، ويخاطبهم — وخاصة المشركين — منبهاً محذراً بأن هذه الأصنام التي يدعون ويعبدون في غاية الحقارة والضعف، وقد ذكر دليلين ظاهرين على ذلك :

أولاهما : عجزها اللائح عن إيجاد أي مخلوق ، ولو كان في منتهى الحقارة والضعف كالذبابة ونحوها .

ثانيهما : ضعفها — أي الأصنام — عن استرجاع شيء خطفته الذبابة منها .

وبهذين الدليلين يتجلى ضعف الطالب — أي الأصنام — والمطلوب — أي الذبابة — فالأصنام بمنزلة الذباب ، فكيف تعبد دون رب الأرباب ؟!

الثاني : يتعلق بالضمائر وعودها ؛ لأن الضمير في قوله ﴿ لَن يَخْلُقُوا﴾ وهو واو الفاعل عائد إلى الأصنام لا إلى الناس كما فهم مصطفى محمود ومن سار على دربه !! انظر الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[الحج/74]. وقوله: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ ﴾ الضمير المفعول به في (يسلبهم) عائد إلى الأصنام أيضاً خلافاً لتوهم مصطفى محمود من عودته للناس !!

فالمعنى : لو أن الذبابة سلبت الصنم شيئاً، لما استطاع أن يسترده منها؛ لأنه أعجز منها وأهون، وأنى له ذلك وهو لا حراك به .

وعلى هذا فالطالب هو الأصنام والمطلوب الذباب، لا كما قرر مَنْ طلب حقيقة في آية هي غير مطلوبه..

التطبيق الرابع

مع د. عبد الرزاق نوفل

﴿ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف/96]

يرى المتصدرون للتفسير العلمي الذي يخبط خبط عشواء أن شفاء يعقوب المحب المفجوع بولده يوسف ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ لم يكن بسر الرائحة التي تضمخ بها قميص يوسف وانتقلت منه كما هو ظاهر من الآية وهذه معجزة؛ لأنَّ فيها خرقاً للعادة كما هو معروف في العقيدة، بل يرى هؤلاء أن سر الإبصار وسببه يعود لأمر طبي مادي، ويفسرون ذلك بتفسيرين :

الأول : أن عرق يوسف الذي تشربه قميصه، فيه مادة طبية ترياقية كان لها أثر مادي في الشفاء، وذلك عندما مس القميص عيني يعقوب، فكان من ذلك شفاؤه وزوال الغشاوة عن عينيه.

وهذا ـــ كما يزعمون ـــ ما قرره الأطباء بعد إجراء دراسات وتجارب على هذه المادة المستخلصة من العرق !!

الثاني : أن انخفاض ضغط الدم عند السعادة المفاجئة قد تعيد البصر في حالة وجود (الماء البيضاء) في العين .

يقولون: ((لقد انخفض ضغط الدم عند يعقوب بعد أن أحس أن ابنه حي يُرزق وانصرف عنه الحزن والألم وانتابه حالة من السرور والفرح فارتد إليه البصر))[1].

على هذا التفسير ليس لشفاء يعقوب من علاقة بالحب، ولا بالمعجزة الغيبية، إنما هو علاج مادي صِرف .

ومّما لا يمتري فيه اثنان أن هذا التفسير باطل، وذلك من وجوه :

الأول : أنه إن ساغ لنا القول بأن شفاء يعقوب، كان لأمر طبي نتيجة للمادة العرقية التي يحملها القميص ، فكيف يسوغ لنا تفسير شم يعقوب لرائحة يوسف التي يحملها القميص من مسافات بعيدة ؟

1 ـــ نقل ذلك عبد الرزاق نوفل في كتابه : القرآن والعلم الحديث (138-139) وكذلك الطبيب قزموز وزميله في : مع الطب في القرآن الكريم (59)

هل يتأتى لعاقل أن يفسّر ذلك الشم تفسيراً مادياً بحتاً ؟ وأنى له ذلك ؟

هذه الآية تبين لنا أثر الحب في المحب والمحبوب وأنه قد يبلغ مبلغاً يتجاوز الإنسان به حدود الزمان والمكان وكل الحواجز المادية التي تحدد عتبات لا يمكن تجاوزها وتخطيها، فيعقوب الذي أترع قلبه بالحب لولده الغائب المفقود يوسف يشم رائحته؛ لأنه تحول بهذا الحب من المبنى إلى المعنى، فصار كتلة متوقدة من الحب .. يقول لمن حوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف/94].

لقد حمل الهواء رائحة المحبوب للمحب، فما استطاع أن يكتم ما وجده وأحس به، ولما كان مَنْ حوله في وادٍ وهو في واد الشوق، أكد لهم أنه يشم ويدرك ما لا يشمه ويدركه الآخرون من حوله ، لذلك كله قوّى كلامه بثلاثة مؤكدات: (إنّ)، واللام في (لأجد)، والفعل المضارع بصيغة الحاضر (أجد) والتعبير عن الشم بالوجود الذي يطلق على الموجود المرئي غالباً ...وبعد ذلك حذف جواب الشرط في قوله : ﴿ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ أي: لولا أن تنسبوني للهرم والسفه لحدثتكم بأعظم من ذلك ؛ أي : أعجب من شم رائحة يوسف ...!!

الثاني : أنه إن سلمنا بأن هناك مادة من العرق تؤثر بعض التأثير في شفاء بعض أمراض العين ، فهل كانت هذه المادة من الكثرة حتى تذهب المرض إذا ما مسّت وجه يعقوب ؟

ونحن نرى في الواقع أن أمراض العين (البسيطة) كالرمد ونحوه تحتاج إلى معالجة دائمة وقطرات وافرة حتى يتم الشفاء .

الثالث: أن هذا التفسير المادي، يريد أن يُذهب رونق المعجزة الظاهرة من هذه الحادثة، كيف نسوّي بين القلوب المحترقة والعقول المتحجرة ؟!

إن هذا المذهب في التفسير مذهب عقلي ، يخرج المعجزة عن كونها خارقة للعادة ، ولو سرنا على هذا النهج المادي لما أبقينا معجزة إلا ولوينا أعناق الآيات لتأويلها ، ولا ريب أن هذا منهج منحرف مردود ...



﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
[الصافات/142 - 144]

التطبيق الخامس

قصة يونس النبي الكريم عليه السلام

يزعم من ينتقد تفسيرهم العلمي المعاصر أن يونس النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ـــ عندما التقمه الحوت بعد خروجه من القرية مغاضباً، وركوبه البحر ، ثم إلقائه فيه بعد مساهمته ـــ أي اقتراعه ـــ يزعم أنه سقط في حجرة الهواء؛ أي في رئة الحوت، فلم يَحُلْ بينه وبين الهواء الذي تقوم به الحياة عادة؛ لهذا لم يمت وبقي حياً طوال المدة التي مكثها في بطن الحوت ولولا وقوعه في هذه الحجرة الهوائية، لهلك من ساعته !!

هكذا يفهمون سر نجاة هذا النبي، فما هي إلا أسباب ومسبّبات، وليس هناك آية ولا معجزة خارقة للعادة ..!

ولست أدري ماذا بقي من المعجزات بعد هذا التفسير المتعسف ؟! لم يبق إلا أن ننكر ذواتنا وأنفسنا؛ لأنها معجزات لكنها مألوفة !

وما أدري أيضاً ماذا يقولون في معجزة الإسراء والمعراج التي كانت لرسول الله ﷺ وخاصة المعراج الذي تجاوز به رسول الله السموات العلى، ولم يكن في مركبة فضائية مترعة بالأوكسجين وما تكون به حياة الإنسان ؟!

وهذا التفسير (بل التحريف) منقوض من قواعده وذلك بأمور :

الأول: أن الآيات التي ذكرت سيدنا يونس والتقام الحوت له جاءت في نسق الآيات التي تتحدث عن الأنبياء ومعجزاتهم التي أيدهم الله تعالى بها، فذكرت داود وتسبيح الجبال والطير معه، وسليمان وتسخير الريح والشياطين له، ثم ذكرت ما أصاب أيوب من البلاء الشديد وكيف كشف الله عز وجل عنه الضر الذي أحاط به، بعد ذلك جاء ذكر ذي النون (يونس) الذي ترك قومه المعرضين عن دعوته مغاضباً فقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء/87- 88]

وقد أردفت هذه الآيات بذكر زكريا ودعائه والتجائه إلى الله سبحانه وتعالى ليرزقه الولد الصالح - وقد كان شيخاً كبيراً وكانت زوجه عقيماً-فأُعطي ما سأل .

وهكذا نرى أن سياق الآيات يتحدث عن الأنبياء ومعجزاتهم التي تجاوزت نواميس الكون وقوانينه المعروفة فلا يسوغ في عقل عاقل أن يفسرها تفسيراً مادياً وكذلك الأمر الذي وقع ليونس .

الثاني: أنه على فرض أن يونس سقط في حجرة الهواء كما يدَّعون، فلا بد أن يقال لهم: كيف نجا إذن من ماضغي الحوت بعد التقامه؟ كيف يُتصور أن يقع إنسان في فم حوت في ظلمة الليل والبحر المضطرب، ثم يبقى حياً دون أن يتمزق شر ممزق ؟!

ثم إني لأسال : هل جرت العادة في عالم الحيتان أنها عندما تبتلع شيئاً تُلقيه في حجرة الهواء وتبقى معداتها الضخمة فارغةً يعض بعضها بعضاً ؟!

لا ريب أن يونس كان في بطن الحوت كما أخبر الله عز وجل حيث قال : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات/143-144] وقد أمر الله تعالى هذا المخلوق أن يحفظ عبده يونس في بطنه حياً؛ ليكون أشبه بالسجن، وهذا مظهر المعجزة الخارقة للعادة .

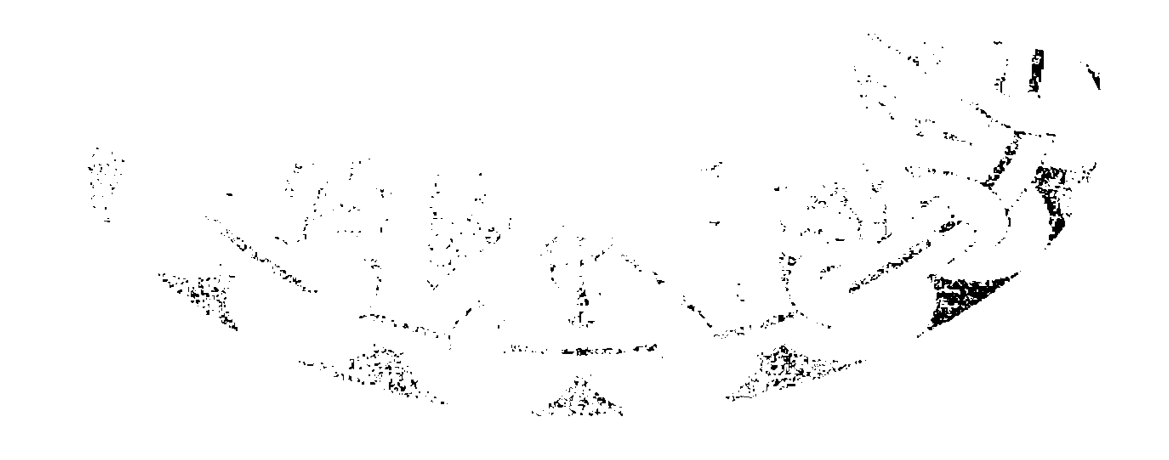
الثالث: ويقال لهم أيضاً : كيف تفسرون ما حصل ليونس بعد ذلك من خروجه من بطن الحوت وقذفه له في مكان مناسب على الشاطئ، وإنبات الله تعالى عليه شجرة من يقطين، لتعود إليه قوته وصحته بعد هذه المحنة وهذا الابتلاء ؟ !

كل ذلك يقرر أن بقاءه حياً في بطن الحوت، كان معجزة لا يماري فيها إلا جاهل أو معاند، ويعضد هذا أن الآية بيّنت أن سبب نجاته كان التجاؤه إلى مولاه تعالى، وتسبيحه إياه .

الرابع : أن هذا التحريف لمثل هذه المعجزة إنكار مطبق غير صريح للمعجزات المادية التي وقعت للأنبياء، وهذا مسلك الماديين .

ولو أنصف هؤلاء لأدركوا أن الإنسان عينه معجزة في ظاهره وباطنه وعقله وجسده ، لكنه معجزة مألوفة ، فقد ألف هذا المخلوق نفسه وما حوله من آيات فغاب عنه وجه الإعجاز، ولو دقق النظر واعتبر لأدرك أنه من أعظم المعجزات ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات / 21]

وتزعـــم أنـــك جِـــرم صـغير   وفيك انطــوى العالم الأكبرُ



﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق /19]

التطبيق السادس

د. محمد وفا الأميري

لعل القارئ يعجب أيما عجب عندما يقرأ التفسير العلمي المعاصر لهذه الآية التي بين أيدينا ليرى المبالغة التي يمتطي ظهرها الذين أُولعوا بهذا النمط من التفسير دون مراعاة للضوابط اللازمة ، وأصول التفسير الحاكمة .

يرى هؤلاء أن هذه الآية تشير إلى الصواريخ ذات الطبقات المتعددة التي تنطلق إلى الفضاء متجاوزة الغلاف الجوي للأرض ؛ لأنها كلما قطعت مرحلة محددة ، انفصل منها جزء وهكذا دوليك إلى أن تصل إلى غرضها ، فيبقى الجزء ــ القمرة ــ الذي يحمل روّاد الفضاء !!

يقول الأستاذ محمد وفا الأميري ـــ رحمه الله تعالى ـــ وهو ممن قال بالتفسير السابق: ((ومنها قوله تعالى :﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[الانشقاق/19] فيها إشارة إلى طبقات الصواريخ ذات المراحل الثلاث أو الأكثر المتعددة المراحل التي أطلقت من الأرض وركبها الإنسان إلى الفضاء الخارجي في هذا العصر، واخترق بها طبقات الغلاف الجوي المختلفة، فقد ركب الإنسان كما وعده ربه طبقات الجو وغيره))(1)

وهذا الذي ارتآه الأستاذ الأميري بعيد كل البعد عن مراد الآية الكريمة ، ويظهر ذلك من وجهين :

الأول: سياق الآيات التي تنتظم فيها الآية ، فقد سُبقت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾[الانشقاق/10-11] فقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾ هذا بيان للجزاء الذي أُعدَّ للكافر الجاحد يوم القيامة، ثم أكدت الآيات أن هذا العذاب الموعود مصيبُه لا محالة، وذلك من خلال القسم في قوله تعالى :﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ واللَّيْلِ ومَا وسَقَ والْقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ ﴾[الانشقاق/16-17-18] ثم جاءت الآية ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق/19] ثم عادت الآيات لتقريع الكافرين وتوبيخهم، وذلك بالتعجيب من إعراضهم عن الإيمان وانصرافهم عن السجود لسماع القرآن ثم توعدهم بالعذاب الأليم الذي

1 ـــ الإشارات العلمية في القرآن الكريم للأستاذ الأميري (16) الطبعة الثانية 1401 هـــ

يتربص بهم..وذكرت بعد ذلك جزاء المؤمنين ﴿إلاَّ الَّذِين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[الانشقاق/25] .

وعدم الالتفات إلى السياق من الأستاذ الأميري، يذكرنا بتفسير عجيب، ملخصه: أن قوله تعالى: ﴿وإذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[التكوير/4] تنبؤٌ باختراع وسائل الانتقال الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات واستخدامها بدلاً من الإبل والعشار من النوق ممّا مضى على حملها عشرة أشهر!!.

ولو نظرنا في السياق، لرأينا أنه في تعداد أحداث يوم القيامة، وليس هناك من علاقة بهذا المعنى الذي زُعم.

الثاني : وهذا الدليل مبني على الدليل الأول، فبعد أن عرفنا سياق الآيات، تبيّن لنا أنه لا علاقة للصورايخ وطبقاتها بهذه الآية لا من قريب ولا من بعيد ...بل المراد من قوله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ ــ كما قال كثير من السلف ــ شدة بعد شدة، فهذا وعيد مخيف من الله تعالى للكافرين بأنهم سيلاقون حالاً بعد حال من العذاب، وسينتقلون من دَرْكٍ من جهنم إلى دَرْكٍ آخرَ أسفلَ منه[1].

1 ــ انظر تفسير ابن كثير ج4 /625



﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة 109]

التطبيق السابع

مع أ. رشاد خليفة

وتحطمت الطائرات في برجي التجارة العالمي في نيويورك، وكان حدثاً عظيماً، أذهل البشرية، وهزّها هزاً عنيفاً .

وقد أفرح هذا الزلزال أناساً كثيرين، وأثلج قلوبهم ؛ لأنه شفى صدورهم، وأسكن نفوسهم؛ لأن أمريكا تمادت في عدوانها، وأسرفت في طغيانها، فما أجدرها ــ برأيهم ــ أن تُنكب، وأن تُصاب بالكوارث، وأن تحيط بها الدوائر ...

وكما صدع السابقون بفرحهم العارم، حزن آخرون واغتموا، إمّا لفقد أحباب لهم، كانوا في أحد البرجين، وإمّا لأنهم أحسوا بما أُوتوا من معرفة وفكر ثاقب بأنّ بلاءً مستطيراً وكيداً فظيعاً يتربص بالمسلمين في كل مكان إثر هذا العمل الأرعن الذي حسب أصحابه المنفذون المباشرون، والمخططون البعيدون، أنه سيكون انتصاراً مؤزراً كالانتصارات التي كانت على أيدي المسلمين في معاركهم الكبرى، فما هو من الانتصار ببدر واليرموك وحطين ببعيد ...!!

لكنّ الأمر جاء كما فطن له ذوو الألباب وأولو البصائر الذين لا ينظرون إلى الحدث نفسه، بل يُحدّون النظر ويطيلون التأمل في الحدث وما قبله، وما وراءه، ويرون بعيون قلوبهم ما لا يراه غيرهم بعيون رؤوسهم، فقد نال المسلمين ما نالهم غِبّ هذه الغزوات!! فاجتيحت أفغانستان وبعدها العراق وألصقت بالإسلام والمسلمين كل شنيعة وكل مَعَرّة، وما زالت النكبات تصيبهم وتلاحقهم، وكان من آخرها ما ادعاه الأفّاكون المفترون في حق سيد الخلق ذي الخلق العظيم ﷺ .

وبعد الذي جرى تحفّزت فئة من الناس فأخذت تبحث عن هذا الحدث الخطير في القرآن الكريم؛ لأن هذا الكتاب ــ بزعمهم ــ لا بد أن يكون قد أشار إلى ذلك إشارة قريبة أو بعيدة ... فهو الكتاب الذي لا يفوته شيء إذ هو تبيان لكل شيء !!

وبعد لأيٍ (أي تعب) عثروا على الصيد السمين والكنز الدفين الذي يريدون ..!

يقولون : تدمير البرجين كان في الحادي عشر من الشهر التاسع (سبتمبر) والبرجان في الشارع رقم [109] وهنا الاكتشاف الرائع المدهش !! إن الآية القرآنية [109] وهذا يوافق رقم الشارع !! وأيضاً الجزء الذي فيه هذه الآية من سورة التوبة، هو الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم، وهذا يوافق اليوم الحادي عشر الذي وقع فيه الحدث الجلل !! ثم يُغالون بما لا يُعقل فيزعمون أن اسم الشارع الذي فيه البرجان (جرف هار) !!!

وكل الذي سبق يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[التوبة/109] فهو بنيان شُيِّد على غير التقوى والإيمان لذلك تداعى فهو خاوٍ على عروشه !!

ما أعظم هذا التوافق الذي نطق به القرآن العظيم قبل أربعة عشر قرناً خلت !! ..إنَّه لدلالة قاطعة بأنه كلام الله الذي يتجاوز المكان والزمان والغيوب ...

هذا ما تدفق به البيان البليغ لبعض الخطباء في يوم الجمعة، وقد شُدِهَ (دهش) الناس لسماع هذا الكلام العجيب الذي يبرز إعجاز القرآن العظيم العددي والعلمي ..!!

وبعد فهل هذا الهراء الساقط إعجازٌ حواه القرآن كما يزعم هؤلاء ؟

لا جرم أن هذا باطلٌ بيّنُ البطلان، وفاسدٌ بين الفساد ودونك الأدلة الناصعة على هذا :

الأول: أن هذه الاصطلاحات ـــ الترقيم للصفحات وللآيات وتقسيم القرآن لأجزاء ـــ كل ذلك طارئ محدث لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولا الصحابة حين كتب القرآن العظيم، وهي شكلية تخص الشكل والهيئة، ولا علاقة لها بأي جانب من جوانب الإعجاز القرآني؛ لأن الإعجاز إنما يتعلق بالمضمون والمعاني، وليس له من صلة بشكل الحرف وكتابته فضلاً عن هذه الاصطلاحات الطارفة التي اتُفق عليها فيما بعد .

فكيف يسوغ في عقل عاقل أن نجعل من مثل هذه المصطلحات البشرية محلاً للإعجاز والتحدي ؟ !

الثاني : أن أصحاب هذا الإعجاز الباهر، يركنون في إعجازهم هذا على عدد الآيات في سورة التوبة وأرقامها.

وهذه الآية [109] إنما هي كذلك على قراءة حفص، وأمّا على قراءة ورش عن نافع فهي مختلفة، إذ تصير [110]!! فكيف يبنى الإعجاز القرآني على أمر مختلف فيه هذا الاختلاف؟!

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الاختلاف في عدد الآيات، إنما هو ناشئ من اختلاف عدِّ آيةٍ من الآيات آيتين

عند قارئ وآيةً واحدةً عند قارئ آخر كما في سورة الفاتحة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ فهي آية واحدة بحسب قراءة حفص، والمذهب الشافعي، وهي آيتان بحسب قراءة ورش والمذهب الحنفي .

ونقول لهؤلاء الذين قرروا هذا الإعجاز: لا ريب أن أهل المغرب العربي الكبير ــ وهم على قراءة ورش ــ عندما سمعوا بهذا الإعجاز العددي الرائع، فتحوا مصاحفهم ليتأملوا فيه، فوجدوا أن الرقم المعجز [109] غير معجز في قراءهم ومصحفهم ؛ لأنه عندهم [110] فقالوا: يا أهل المشرق إن هذا الإعجاز في قرآنكم لا في قرآننا ..!!

أي عاقل يهبط إلى هذا الحد من السخف الساخف في الفكر والعقل والمنطق، ليقول مثل هذا الكلام ؟! ومتى كان الإعجاز في القرآن الكريم يفترق من نسخة إلى أخرى ؟!

الثالث : إني لأجزم أن المروّجين لما يُسمَّى زوراً وبهتاناً (الإعجاز العددي) هم أتباع الطائفة البهائية القاديانية والفرق الباطنية التي تؤسس اعتقادها على الحروف وأعدادها.

ولعل أكبر شاهد على ما أقول ما كتبه رشاد خليفة عن الرقم [19] في كتيبه (عليها تسعة عشر) والأكاذيب التي ضمها هذا الكتيب، ثم تبيّن بعد حين أن رشاد خليفة قادياني المذهب والاعتقاد، وكانت نهايته الوخيمة في أمريكا ..

وهذه الفرق المنحرفة المعاصرة لها جذورها في الماضي، وقد بيّن فضائحهم ومخازيهم الإمام الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) .

فإذا كان الشأن كما ذكرنا وبيّنا، فليتق الله تعالى الدعاة والخطباء الذين يحملون مثل هذا الغثاء، ثم يبثونه بين المسلمين دون وعي وإدراك لنتائجه في المستقبل على عقولهم وعقائدهم... وما أجدر أن نتحرى في مثل هذا، لأنَّ قرآننا العظيم يأمرنا بذلك إذ يقول: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء /36]



سماع أصوات الموتى في قبورهم !!*

التطبيق الثامن

مع د. عبد المجيد الزنداني

ظهر الشيخ عبد المجيد الزنداني على الفضائيات، ليُسمع الناس شريطاً، يدّعي أنه سُجّل في روسيا من بئر عميقة للنفط، وأن الأصوات المخيفة التي تنبعث منه ـــ وهي عويل وصراخ واستنجاد ـــ ما هي إلا أصوات الموتى الذين يعذبون في قبورهم، ويَصْلَون حر النار !

وادعى أيضاً أن هذا الشريط المرعب، كان قد سجل قبل نحو عشر سنوات، وأن أحد الذين التقطوا هذه الأصوات، قد قتل غلية لئلا ينشر هذا الاكتشاف بين الناس حرصاً على الإلحاد واللادينية، لأنّ هذه الحقائق التي حواها هذا الشريط تنقض بنيان الإلحاد وتهدمه ... إلى أخر ما قال !!

*- لمّا كان لهذه المقالة ارتباط من وجه بالقرآن الكريم وإعجازه، ذكرتها هنا.

وانتشر هذا الشريط بين الناس عامّهم وخاصّهم انتشار النار في الهشيم؛ لأنَّ كثيراً من الخطباء والدعاة تحدث عنه ونبه عليه، ولعل بعضهم صعد المنبر وبيده مسجل ليُسمع الناس الأصوات التي تتقطع لها القلوب رعباً وخوفاً ...وإنما قصد هؤلاء من ذلك تقرير عذاب القبر وتثبيته في عقول الناس وأفئدتهم ... فيطمئن التقي الصالح، ويرعوي الشقي الطالح..!!

وغفل هؤلاء جميعاً أن سماع ما يجري في القبور مستور عن الناس ومحجوب عنهم حجباً مطلقاً، ولا يتأتى لأحد أن يطلع عليه، ولن يغدو مسموعاً ومدركاً في يوم من الأيام .

ولعل قائلاً يقول مستفهماً أو مستنكراً : فيمَ هذا الإنكار؟ وما سر هذه الحرب الشعواء على هذا الشريط ومروّجيه ؟

وها أنا ذا أجيب ـــ عسى المستفهم يزول استفهامه، والمستنكر ينقلب استنكاره ـــ فأقول:

إن الغيب المحجوب عن الناس قسمان :

الأول : الغيب النسبي : وهو الغيب الذي يكون غيباً بالنسبة لزمن دون زمن أو مكان دون آخر أو أشخاص دون غيرهم ... وهذا كثير جداً وأمثلته لا تكاد تحصى، فمن ذلك: النطفة أو الحُوين المنوي للرجل والبييضة للمرأة، لم يكونا تحت الأنظار من قبل؛ لأن العين المجردة لا تدركهما؛ لأن للبصر عتبة يقف عندها كما أن للعقل حداً ينتهي إليه،

لكننا في العصر الحديث وبعد تطور العلوم، استطعنا بوساطة المجاهر المكبرة والمقربة أن نراهما رأي العين لكن عن طريق غير مباشر.

إذن كان الحوين المنوي غيباً في الأزمان الغابرة، لكنه غيب نسبي يختص بوقته المنصرم، ثم غدا اليوم من المدركات المحسات.

الثاني: الغيب المطلق : وهو الغيب الذي حجبه الله تعالى عن الناس في كل زمان وكل مكان حجباً مطلقاً، وحال بينهم وبين الاطلاع عليه؛ لأنه تعالى أراد ابتلاء الإنسان بالإيمان والتصديق به .

وهل الإيمان في أصله إلا تصديق بهذا الغيب ؛ لأنه ليس من المعقول في شيء أن يطلب الله عز وجل من الإنسان أن يؤمن بوجود ما يراه ويدركه فلا أين مع العين كما قالوا .

وهذا الغيب المطلق الذي نتحدث عنه رأس الصفات التي يتحلى بها المتقون ، لذلك قُدِّم عليها كلها فقال تعالى:

﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة / 2- 3]

هذا الغيب لا يمكن للناس أن يدركوه سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة كالاستعانة بالآلات التي اخترعها الإنسان أو سيخترعها في قادمات الأيام .

ومن هذا الغيب : عذاب القبر أو نعيمه ورؤية الملائكة أو الجنة والنار ... والسر في هذا الحجب المطلق أنّ الإنسان لو قدر على الاطلاع على هذه الغيبيات، لانتهى الابتلاء بالإيمان بها، ولآمن الناس كلهم جميعاً، كما يؤمنون عند سكرات الموت وقت يغدو عالمُ الغيب عالمَ شهادة، فيؤمن المنكر الإيمانَ الاضطراري الذي لا ينفعه شروى نقير، ويرى المؤمن ما آمن به من الغيب حقاً فيلتقي علم اليقين مع عين اليقين ثم حق اليقين ...

هذه حقائق ثابتة وراسخة من أصول العقيدة الإسلامية، ما كان ينبغي أن تفوت الشيخ عبد المجيد الزنداني ومَنْ تلقف كلامه دون تبصر ونظر .

ولا ريب أنَّ الشيخ الزنداني ليس أول سارٍ غَرَّه ضوء القمر .

المصادر المراجع

أساس البلاغة، للزمخشري، دار الفكر ببيروت / 1994م.

الإشارات العلمية في القرآن الكريم، لمحمد وفا الأميري، ط2؛ 1401هـ.

تفسير ابن كثير، دار الخير بدمشق، الطبعة الأولى.

التوحيد، لعبد المجيد الزنداني، ط3 / مكتبة التراث الإسلامي.

الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس االقزويني، تحقيق عبد السلام هارون.

القرآن محاولة لفهم عصري، للطبيب مصطفى محمود، دار المعارف بالقاهرة، ط7.

القرآن والعلم الحديث، لعبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي بالقاهرة.

القرآن وقضايا الإنسان، للدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار العلم للملايين ببيروت.

كيف نفهم القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت.

مع الطب في القرآن الكريم، للطبيب قزموز وزميله، مؤسسة علوم القرآن.

مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم بدمشق.

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للدكتور محمد راتب النابلسي، دار المكتبي بدمشق / 2005م.

نهج الإسلام (مجلة وزارة الأوقاف السورية).

الفهرس

السيرة الذاتية للمؤلف

الدكتور أحمد محمّد الفاضل

- من مواليد دمشق 18/11/1966
- تخرج في معهد الفتح الإسلامي، ثم تابع دراسته حتى حاز على دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية.
- بدأ الكتابة الأدبية والنقدية في العشرين من عمره، ونشر بعضها في مجلات عربية، وقد تأثر في كل ما كتب بمؤلفات العلّامة الكبير محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى.
- يُدرِّس الآن: النحو والإعراب، التفسير، الحديث ومصطلحه في معهد الفتح في دمشق بقسميه: التأهيلي والجامعي.
- من مؤفاته المطبوعة: (الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم) وهو أطروحته التي نال بها الدكتوراه برتبة : ممتاز



من حقكم ألا تقتنعوا بما ننشره

اليوم في عدد غير قليل من الآثار العلمية يتم التأكيد على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وعلى الرغم من البريق الأخاذ الذي يسلب أنظار العامة؛ إلا أن أهل الاختصاص يتوقفون عند جهود بعض من يسلك هذا السبيل، ذلك لأنه غالبا ما يكون ((قولا جزافا غير مستند على أساس علمي أو تاريخي فالأمر الذي يكون موضع التأويل لا يعدو في الغالب أن يكون إشارة لطيفة في القرآن الكريم لظاهرة كونية طبيعية هذا إذا صح تخريج المؤول لمعناها، وليس من الصواب في شيء الزج بتلك الإشارة الكريمة إلى تحميلها فوق كل ماتحتمله ووضعها موضع التسابق مع أي مبحث علمي مفصل هذا فضلا عن أن المؤول يستحضر بعض فصول التاريخ العلمي الحديثة منذ ما سمي عصر النهضة وما بعده، غير ملتفت إلى أن المعارف البشرية كانت في عهد القرآن متضمنة ما اهتدت إليه الأمم الأولى في الحضارات السابقة والكلام في السبق يفتح بابا للجدل ليس من اليسير في كثير من الأحيان الانتهاء فيه برأي.

علاء الدين آل رشي
المدير الإعلامي في مركز الناقد الثقافي



مؤسسة دار الاجتهاد

الوكيل الحصري في المملكة العربية السعودية
جدة- حي الثغر - شارع باخشب - املاك الأمير متعب
ص.ب 41547 الرمز البريدي 21531
هاتف: 6762431-6895807
فاكس: 6810578